2024 تشرين1 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 7
October 2024 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 7
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

غرائب القرآن ـ دراسةٌ في الجزء الأَول من القرآن

م. أحمد جلعو اذياب
تربية محافظة نينوى
ahmadalmosely2018@gmail.com

الملخص

فهَذِهِ الدِّرَاسَةُ تَقُوْمُ عَلَىْ بيانِ غريبِ القرآنِ في شتَّى العُلومِ، مِن نحوٍ وَصرفٍ وَلُغةٍ وبيانٍ وبلاغةٍ وَخَطِ المُصْحَفِ وَالقِراءَاتِ وَعَلاماتِ الوَقفِ وَغيرِها، وشرطنا في اختيارِ الغريبِ هو ما تعرضْنا لهُ أَو قد نَتَعرَّضُ لِسُؤَالِهِ مِن طلبةِ العِلمِ وَالدارسينِ وَعُمومِ المُسلمينَ؛ لِمَا قد يُشْكِلُ عَلَيهِم مِن غريبِ القرآنِ، وقد اقتَصَرْنَا فِي هذا البَحثِ على الجُزءِ الأَولِ مِنَ القرآنِ؛ لِتَكُونَ نُقطةَ بِدايةٍ لِسِلسِلَةٍ طَويلَةٍ سَنَعِيشُهَا بِإِذنِ اللهِ تعالى مَعَ القُرآنِ؛ فالقرآنُ أَطْيَبُ مَا يُعَاشُ بِكَنَفِهِ، وَأَعْظَمُ مَا يُتَعَلَّقُ بِشَرَفِهِ؛ لِذَا كَانَ دَيْدَنَ الدَّارِسِيْنَ وَكَهْفَ البَاحِثِيْنَ. وَأَعْظَمُ مَا يُطْلَبُ مِنْهُ هُوَ الْغَرِيْبُ الَّذِيْ يُشْكِلُ عَلَىْ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ؛ لِذَا كَانَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ شُعْلَةَ نُوْرٍ تُضِيْءُ الطَّرِيْقَ لِلسَّالِكِيْنَ فِيْهِ، وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ .

الكلمات الافتتاحية: غرائب، القرآن، علوم اللغة، النحو، الصرف، المعجم، الصوت، علوم البلاغة، علوم القرآن، الحروف المقطعة، رسم المصحف، علامات الوقف، القراءات، القصص .

Oddities of the Qur’an: A study of the first part of the Qur’an

Ahmed Jalao Adiab
Nineveh Governorate Education

Abstract

This study aims to elucidate the peculiarities of the Quran in various disciplines, including morphology, syntax, language, expression, eloquence, the script of the manuscript, recitations, punctuation marks, and others. Our criterion in selecting what is considered "peculiar" is what we have encountered or may encounter questions about from students of knowledge, researchers, and Muslims in general, concerning aspects of the Quran that might pose difficulties for them. In this research, we have focused on the first portion of the Quran as a starting point for a long series that we hope to undertake with the permission of Allah, the Most High, alongside the Quran. The Quran is the greatest thing to live under its shade and the greatest thing to honor oneself with, hence the aspiration of scholars and the cave of researchers. The most sought-after aspect is the peculiarity that poses challenges for many people. Therefore, this study serves as a beacon of light illuminating the path for those traversing it, and success is from Allah .

Opening words: wise style, hadith of the Prophet, sciences of rhetoric Introductory words: Oddities, the Qur’an, linguistic sciences, grammar, morphology, dictionary, sound, rhetorical sciences, Qur’anic sciences, .disjointed letters, drawing of the Qur’an, stop signs, readings, stories.

توطئة

الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالمينَ، أَنزلَ القُرآنَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَجَعَلَهُ نَوراً وَهُدَىً لِلسَّائِلِينَ وَالطَّالِبِين، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالأَخِرِيْنَ، النَّبِيِّ الأُمِيِّ الأَمِيْنِ، وَعَلَىْ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

وَبَعْدُ..

فَإِنَّ مِن مقاصِدِ العِلمِ والدِّينِ معرفةَ معاني كلامِ ربِّ العالمين، ولا سِيَّمَا مَا غَرُبَ مِنْ أَلفاظِهِ وَاسْتَشْكَلَ مِنْ مَعَانِيهِ عَلَىْ قُرَّاءِ القُرآنِ وَطُلَّابِ العِلمِ؛ لِذا أَحببْتُ أَنْ أَبْحَثَ فِي غريبِ القُرآنِ ومُشكلِ البيانِ، فأُقرّبُ معانيهِ وأُوضّحُ مبانيهِ، خِدمةً للقرآنِ وأَهلِهِ .

وهذا البَحْثُ يُعْنَى بِبَيَانِ مَا اسْتَشْكَلَ مَعْنَاهُ أَو ظَهَرْتْ غَرَابَتُهُ لِطلبةِ العِلمِ وأَهلِ القُرآنِ في شتَّى العُلوم كالنَّحوِ والصَّرفِ وَالمعْجَمِ وَالصَّوْتِ وَالبَلاغَةِ وَالتَّفسيرِ وَالقِراءاتِ وما قد يقعُ في رسْمِ المُصْحفِ وعلاماتِ الوقفِ وغيرِ ذَلِكَ فِي الْجُزْءِ الأَوَّلِ مِنَ القُرآنِ؛ وَأَصْلُ البَحْثِ هُوَ أَسْئِلَةٌ كُنْتُ أُسْأَلُ عَنْهَا بَيْنَ الفِيْنَةِ وَالأُخْرَى، فَأَحْبَبْتُ تَحْرِيْرَهَا فِي هذا الكِتَابِ. وَمُصْطَلَحُ الغَرِيْبِ فِي هذا البَحْثِ المُتَسَلْسِلِ بِإِذنِ اللهِ أَوسَعُ مَعْنَىً مِنْ مُصْطَلَحِ الغَرِيْبِ عِنْدَ المُتَقَدِّمِيْنَ؛ لِشُمُوْلِهِ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمٍ كَعِلْمِ اللُّغَةِ وَالتَّفْسِيْرِ وَالبَلاغَةِ وَالرَّسْمِ وَالْوَقْفِ وَالقِرَاءَاتِ وَغَيْرِهَا .

وَمِمَّن أَلَّفَ في غَرِيْبِ القُرَآنِ الإِمَامُ السَّدُوْسِيُّ (ت:195ه)، وَالنَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ (ت:203ه)، وَالمفَرَدَاتُ فِي غَرِيْبِ القُرْآنِ لِلرَّاغِبِ الأَصْفَهَانِي (ت:502ه)، وَتُحْفَةُ الأَرَيْبِ بِمَا في القُرْآنِ مِنَ الغَرِيْبِ لأَبِي حَيَّانِ الأَنْدُلُسِيِّ (ت:745هـ)، وَالتِّبْيَانِ في تَفْسِيرِ غَرِيْبِ القُرْآنِ لابْنِ الهَائِمِ (ت:815هـ)، وَغَيْرِهِم .

وَمِنَ الكُتُبِ المُعَاصِرَةِ السِّرَاجُ فِيْ بَيَانِ غَرِيبِ القُرآنِ لِلدُّكتُورِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ العَزِيزِ الخضِيري، وَتَفْسِيرُ غَرِيبِ القُرآنِ للدُّكتُورةِ كَامِلَة الكَوَّارِي، وَغَيرُهُمَا .

هذا وَتكمُنُ صُعوبةُ البَحثِ في موسوعيتِهِ حيثُ يتعلقُ بمُعظمِ عُلومِ العربيةِ وَعُلومِ القُرآنِ، وَبَيَانِ ما غَرُبَ مِنْ أَلفاظِهِ، وَمَا أَشْكَلَ مِن مَعَانِيهِ، وَتحقيقِ القولِ فيمَا اخْتُلِفَ فيهِ مِنَ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَالبَلاغَةِ والقِراءَةِ وَالقَصَصِ وَرَسْمِ المُصْحَفِ وَعَلامَةِ وَقْفِهِ، وَغَيْرِهَا، وَأَسْمَيتُهُ بِـ(غَرائبِ القُرآنِ)؛ دَلالَةً عَلَى عَدَمِ اقتِصَارِهِ على غريبِ الأَلفاظِ كمَا هُوَ الشَّأْنُ عِندَ أَكثرِ مَنْ أَلَّفَ في الغريبِ مِنَ العُلماءِ، وَإِنَّمَا يَشْتَمِلُ على أَنواعٍ أُخرى مِنَ الغريبِ .

وَمَنْهَجُ الدِّرَاسَةِ قائمٌ على الدِّرَاسَةِ المَوضُوعِيَّة لِسِيَاقِ كُلِّ آيةٍ وَرَدَ السُّؤَالُ عَنْهَا، مَعَ تحليلِ النُّصُوصِ الواردةِ فيها؛ لِتحريرِ القولِ فِي نَظَرِنَا بِالقرائنِ السِّيَاقِيَّةِ وَالقرائنِ الخَارِجِيَّةِ .

وَفي الخِتامِ أَرجو أَنْ أَكونَ قد قدَّمْتُ خِدمَةً يَسِيْرَةً لِكِتَابِ اللهِ تعالى، وَنفعْتُ إِخواني مِنَ السَّائلينَ وَالبَاحِثِينَ، وَهُوَ مِن جُهدِ المُقِلِّ، وَاللهُ وَحْدَهُ هُوَ المُوَفِّقُ لِلصَّوابِ، وَالهَادِي لأَحْسَنِ الجَوَابِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ .

الباحث

العدد 7 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تشرين1 2024
No. 7 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences October 2024
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

المبحث الأول: مستويات اللغة:

أولاً: علم اللغة

السُّؤَالُ: مَا الدَّلالَةُ اللُّغَوِيَّةُ لِكَلِمَةِ (يَعْمَهُوْنَ) فِي قَولِهِ تَعَالَى: {وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ}، (البقرة:15) .
الجَوَابُ: قَالَ الأَزهريُّ: "قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: العَمِهُ وَالعَامِهُ: الَّذِي يَتَرَدَّدُ مُتَحَيِّرَاً لَا يَهْتَدِي لِطَرِيْقِهِ وَمَذْهَبِهِ. وَقَالَ رُؤْبَةُ :

وَمَهْمَهٍ أَطْرَافُهُ فِيْ مَهْمَهِ أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِيْنَ الْعُمَّهِ

وَمَعْنَى يَعْمَهُوْنَ يَتَحَيَّرُوْنَ، وَقَدْ عَمِهَ يَعْمَهُ عَمَهَاً. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: العَمَهُ فِيْ الرَّأْيِ وَالْعَمَى فِيْ الْبَصَرِ. قُلْتُ: وَيَكُوْنُ الْعَمَى عَمَىْ الْقَلْبِ، يُقَالُ: رَجُلٌ عَمٍ، إِذَا كَانَ لَا يُبْصِرُ بِقَلْبِهِ"[1] .
وقَالَ ابْنُ الأَثير: العَمَهُ فِي الْبَصِيرَةِ كَالْعَمَى فِي البصر. وَرَجُلٌ عَمِهٌ عامِهٌ أَي يتَرَدَّدُ مُتَحيِّراً لَا يَهْتَدِي لِطَرِيقِهِ ومَذْهَبِه، وَالْجَمْعُ عَمِهُوْن وَعُمَّهٌ، وَقَدْ عَمِهَ وَعَمَهَ يَعْمَهُ عَمَهَاً وَعُمُوْهَاً وَعُمُوْهَةً وَعَمَهَانَاً إِذَا حَادَ عَنِ الْحَقِّ[2] .
قلتُ: وَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ كَلامِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَأَصْحَابِ المُعْجَمِ:
أَولاً: أَنَّ الْعَمَى فِيْ الْبَصَرِ، وَالْعَمَهُ فِي الرَّأْيِ، وَقَدْ يُطْلَقُ أَحَدُهُمَا عَلَىْ الأَخَرِ؛ لأَنَّهُمَا مِنَ الأَلْفَاظِ الَّتِيْ إِذَا اجْتَمَعَتِ افْتَرَقَتْ، وَإِذَا افْتَرَقَتِ اجْتَمَعَتْ. قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (الإسراء:72) . فَأَطْلَقَ الْعَمَى وَأَرَادَ العَمَهَ .
ثَانِيَاً: مِنْ مَعَانِي الْعَمَهِ التَّحَيُّرُ وَالتَّرَدُّدُ فِي الأُمُوْرِ؛ لِكَوْنِهِ لا يُبْصِرُ الْحَقَّ وَلا الصَّوَابَ فِيْهَا.
ثَالِثَاً: قَدْ يُطْلَقُ العَمَى وَالْعَمَهُ عَلَىْ السَّبَبِ تَوَسُّعَاً فِيْ الْكَلامِ أَوْ مَجَازَاً، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ[3] :

رَأَيْتُكَ أَعْمَى الْعَيْنِ وَالقَلْبِ مُمْسِكَاً وَمَا خَيْرُ أَعْمَى الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ يَبْخَلُ

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: "عَمَهَتِ الأَرْضُ: كَانَتْ بِلا أَعْلامٍ وَلا أَمَارَاتٍ"[4] ، فَالأَرْضُ لا تَعْمَهُ، وَلَكِنَّ مَنْ يَعْمَهُ هُمْ أَهْلُهَا وَسَالِكُوْهَا بِسَبَبِ خُلُوِّهَا مِنَ الدَّلائِلِ .

ثانياً: علم النحو

أَولاً: السُّؤَالُ: مَا هُوَ إِعْرَابُ الضَّمِيرِ المنْفَصِلِ [أَنتَ] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَقُلْنَا يَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَاذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ} [البقرة:35] .
الجَوَابُ: يُشْكِلُ إِعرابُ الضميرُ المنفصلُ بعدَ فعلِ الأَمرِ على كثيرٍ مِنَ الناسِ، وهذا مثالُ مشهورٌ ، فليُقَسْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ مِنَ الأَمثِلَةِ.
الإعراب:
قَوْلُهُ تَعَالَى:"(وَقُلْنا) الجملةُ معطوفةٌ على (قلنا) الأُولى، (يا آدَمُ) مُنادى، وَ(اسْكُنْ) فِعلُ أَمرٍ، والفاعلُ ضميرٌ مُستترٌ تقديرُهُ أَنتَ، والجملةُ مَقولُ القولِ. وَ(أَنْتَ) ضميرٌ مُنفصِلٌ في محلِّ رفعٍ[5]، وَهُوَ "توكيدٌ للضَّمير

1() تهذيب اللغة، الأزهري:106/1 .
2() النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: 304/3، لسان العرب، ابن منظور: 13/ 519 .
3() ديوان الأقيشر الأسدي، تحقيق: محمد علي دقة: 102/2.
4() معجم متن اللغة، أحمد رضا: 212/4.
5() إعراب القرآن الكريم، قاسم حميدان دعاس: 21/1 .

المُستترِ في (اسْكُنْ). (وَزَوْجُكَ) الواو عاطِفةٌ، (زَوْجُكَ) اسمٌ مَعطوفٌ على الضَّميرِ المُستترِ فِي (اسْكُنْ)، والكافُ مُضَافٌ إِلَيهِ، (الجَنَّةَ): مفعولٌ بِهِ مَنصُوبٌ"[6] .

وقولُهُ تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ}، هذا هُوَ الاختِيارُ، أَعْنِي ذِكْرَ (أَنْتَ)، تقولُ اذْهَبْ أَنْتَ وَزَيْدٌ، وَلَو قُلْتَ: اذْهَبْ وَزَيْدٌ كَانَ قَبِيْحَاً[7].

ثانياً : السؤالُ: ما إعرابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِيْنَ} (البقرة:124) .
أَوردَ بعضُ الناسِ إشكالاً نَحْوَيَاً فِي قَولِهِ تَعَالَى: {وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأَتمهُنَّ قال إني جاعلُك للناسِ إمامًا قال ومن ذريتي قال لا ينالُ عهدي الظالمين} (البقرة:124)؛ حَيْثُ ظَنَّ مِنْ دَلالَةِ الفِعْلِ (يَنَالُ) أَنَّ الفَاعِلُ في الآيَةِ هُوَ (الظَّالِمِيْنَ)؛ وَبِالنَّتِيْجَةِ اسْتَشْكَلَ مَجِيْئَهُ مَنْصُوْبَاً، وَكَانَ المُتَبَادَرُ أَنْ يُقَالَ: (لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمُوْنَ)..؟ .
الجوابُ: إِنَّ الآيةَ قد قَرَأَهَا مُعْظَمُ القُرَّاءِ بِنَصْبِ (الظَّالِمِيْنَ) بِاليَاءِ؛ لأَنَّهُ جَمْعُ مُذكَّرٍ سَالِمٍ، وَهُوَ يُنصَبُ باليَاءِ، وَقَرأَ بَعضُ القُرَّاءِ في - قِراءةٍ شَاذَّةٍ غَيرِ مُتَوَاتِرَةٍ - بِالرفعِ (الظَّالِمُوْنَ) بِالوَاوِ؛ لأَنَّهُ جَمْعُ مُذَكَّرٍ سَالِمٍ يُرفَعُ بِالوَاوِ، وَيَكُونُ {عَهْدِي} على هَذِهِ القِراءةِ مَفْعَولاً بِهِ مُقَدَّمَاً عَلَى الفَاعِلِ اهتِمَامَاً بِهِ .
والآيَةُ على القراءَتينِ لا إِشكالَ فيها؛ فقولُهُ تعالى على القراءَةِ الأُولى: {لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالمينَ} جُملةٌ مُؤَلَّفَةٌ مِن فِعلٍ وفاعِلٍ وَمفعولٍ بِهِ؛ أَمَّا الفِعل فقولُهُ تعالى: {يَنَالُ}، والفِعلُ (نَالَ) وَهُوَ فِعلٌ مُتَعَدٍ لمفعولٍ واحِدٍ، وَهُوَ في الآية {الظالمين}، فَتَعَيَّنَ أَنْ يكونَ الفاعِلُ هُوَ (العَهْدُ) في قولِهِ سُبحَانَهُ: {عَهْدِي}، وهذا الفاعلُ مرفوعٌ بِضَمَّةٍ مُقدَّرَةٍ على ياءِ المتكلِّمِ، مَنعَ مِن ظهورِهَا اشتغالُ المحلِّ بحركةِ المناسَبةِ لِيَاءِ المتكلِّمِ؛ أَمَّا قولُهُ سُبحَانَهُ: {الظَّالمينَ} فَهُوَ مفعولٌ بِهِ منصوبٌ بالياءِ؛ لأَنَّهُ جمعُ مُذكرٍ سَالِمٍ . وَإعرابُ الآيةِ على هذا النَّحْوِ، هُوَ مَحِلُّ اتفاقٍ بينَ أَهلِ العلمِ، ومعنى الآيةِ على هذِهِ القِراءَةِ: لا يَنَالُ عَهْدُ اللهِ بِالإِمَامَةِ مَنْ كانَ ظَالِمَاً، أَيْ: لَيسَ لِظَالِمٍ أَنْ يتولَّى إمامَةَ المسلمينَ شَرْعَاً .
وَأَمَّا على القراءَةِ الأُخرى وَهِيَ قِراءةِ ابنِ مسعُودٍ، (لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالمون) فَهِيَ قِراءَةٌ شَاذَّةٌ؛ لَيسَتْ مُتَواتِرَةً لا مِنَ الشَّاطِبِيَّةِ وَلا مِنَ الدُّرَّةِ وَلا مِنَ الطَّيِّبَةِ .
وَسَبَبُ الشُّبْهَةِ هُوَ امتِناعُ ظُهُورِ علامةِ الرَّفعِ وَهِيَ الضَّمَّةُ فوقَ اليَاءَ (عَهْدِي)، فجعلوا (الظالمين) فاعلاً مُؤَخَّراً وَ(عَهْدِي) مَفعُولاً مُقَدَّمَاً، فَضْلاً عَنْ تِلكَ القِراءَةِ الشَّاذَّةِ .
وَالخُلاصَةُ أَنَّ مَنْ يَسْتَشْكِلُ نَصْبَ الظالمين في الآيةِ إِنَّما يَدُلُّ بِذلكَ على جَهْلِهِ بِوَجْهِ استِعْمَالِ (نَالَ)، فَهَذَا الفِعلُ إذا اسْتَعْمَلْتَهُ بمعنى نَيلِ الخيرِ وَالمنفعةِ؛ قُلْتَ : (نِلْتُهُ)، وهذا في الأَغلبِ الأَعَمِ، ولا مانعَ لُغَوِيَّاً مِنْ أَنْ تقولَ: نالني خَيْرٌ؛ بِمَعنَى شَمَلَنِي، وكذلكَ في الآيَةِ؛ فَلَيسَ العَهْدُ مِنْ قَبِيلِ الْمَنَافِعِ وَالخَيْرَاتِ، حتَّى يُقَالَ: (لا يَنَالُ الظَّالِمُونَ العَهْدَ)، وَإِنَّما قِيلَ: (لا ينالُ العَهْدُ الظالمينَ) بمعنى أَنَّ ذلكَ العَهْدَ لا يَشْمَلُ الظالمين .
وقد وَرَدَ مِثْلُ ذلكَ في قولِهِ تعالى: {إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيَّاً}(مريم:61)، فبعضُهُم قالَ: إِنَّهُ بمعنى (آتِيَاً)، وقالَ بعضُهُم (مَأْتِيَاً إِلَيهِ)؛ لأَنَّ ما أَتيتَهُ فَقَدْ أَتَاكَ، وَكَذَلِكَ قَولُهُ: {فتلقى آدمَ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٌ} (البقرة:37) في قراءَةِ ابنِ كثيرٍ، وَقَرَأَ الباقون برفعِ آدمَ وَنصبِ كَلِمَاتٍ؛ قالَ ابنُ جريرٍ: "فمعنى ذلك إِذًا: فلقَّى اللهُ آدمَ كَلِمَاتِ تَوبَةٍ، فتلقَّاها آدَمُ مِنْ رَبِّهِ وَأَخَذَهَا عنهُ تَائِبَاً، فَتَابَ اللهُ عليهِ بِقِبولِهِ إِيَّاهَا، وَقَبُوْلِهِ إِيَّاهَا مِنْ رَبِّهِ"[8] .

ثالثاً : السؤالُ: ما إعرابُ [مِصْرَاً] في قَوْلِهِ تَعَالَى: {اهْبِطُواْ مِصْراً} (البقرة:61) .

6() المجتبى من مشكل إعراب القرآن الكريم، أ. د. أحمد بن محمد الخراط : 1:18 .
7() معاني القرآن وإعرابه، الزجاج: 623/2 .
8() جامع البيان في تأويل القرآن: 541/1 .

الجَوَابُ: إِعرابُهُ هُوَ (اهْبِطُوا) فِعلُ أَمرٍ مبنيٍ على حذفِ النُّونِ، وَ(الواوُ) ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ مبنيٌّ في مَحِلِّ رفعٍ فاعل، والْجَيِّدُ كَسْرُ الْبَاءِ، وَالضَّمُّ لُغَةٌ، و(مِصْرًا) مفعول به منصوب، وَقَدْ قُرِئَ بِهِ (مِصْرًا): نَكِرَةٌ، فَلِذَلِكَ انْصَرَفَ، وَالْمَعْنَى اهْبِطُوا بَلَدًا مِنَ الْبُلْدَانِ، وَقِيلَ هُوَ مَعْرِفَةٌ، وَانْصَرَفَ لِسُكُونِ أَوْسَطِهِ وَتَرْكُ الصَّرْفِ جَائِزٌ، وَقَدْ قُرِئَ بِهِ، وَهُوَ مِثْلُ هِنْدٍ، وَدَعْدٌ، وَالْمِصْرُ فِي الْأَصْلِ هُوَ الْحَدُّ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ[9].

وقوله عزَّ وجلَّ: {اهْبِطُوا مِصْرًا} الأَكثرُ في القراءَةِ إثباتُ الأَلفِ[10].
قال ابن كثير: " اهبِطُوا مِصْراً هَكَذَا هُوَ مُنَوَّنٌ مَصْرُوفٌ، مَكْتُوبٌ بِالْأَلِفِ فِي الْمَصَاحِفِ الْأَئِمَّةِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَهُوَ قِرَاءَةُ الجمهور بالصرف. وقال ابْنُ جَرِيرٍ: وَلَا أَسْتَجِيزُ الْقِرَاءَةَ بِغَيْرِ ذَلِكَ لِإِجْمَاعِ الْمَصَاحِفِ عَلَى ذَلِكَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ اهْبِطُوا مِصْراً قال: مصر مِنَ الْأَمْصَارِ"[11].
وقال ابن جرير: «فأما القراءة فإنها بالألف والتنوين اهْبِطُوا مِصْراً وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرها، لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين واتفاق قراءة القراء على ذلك»[12]. "وقرأ الحسن وطلحة والأعمش: بغير تنوين، وكذلك في مصحف أبي بن كعب وعبد الله، وبعض مصاحف عثمان"[13].
والمعنى على القراءة الأولى: اهبطوا مصرا من الأمصار لأنكم في البدو، والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي وإنما يكون في القرى والأمصار، فإن لكم إذا هبطتموه ما سألتم من العيش.
والمعنى على القراءة الثانية: اتركوا المكان الذي أنتم فيه، واهبطوا مصر التي كنتم تسامون فيها سوء العذاب فإنكم تجدون فيها ما تبغونه؛ لأَنَّكم قوم لا تقدرون نعمة الحرية، ولا ترتاحون للفضائل النفسية، بل أنكم دائماً أَنْ تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير .
وقد رَدَّ ابنُ جَرِيرٍ على من قالَ: "إِنَّ المرادَ بالمصْرِ مِصْرَ فِرعونَ؛ اسْتِناداً إلى قِراءَةِ غيرِ الجُمهُورِ، إلا أَنَّهُ لم يُرَجِّحْ أَحَد الرأْيينِ، فقالَ: "جَائِزٌ أَنْ يكونَ ذلكَ القرارُ مِصْرَ، وَجَائِزٌ أَنْ يكونَ الشَّامَ"[14] . وَمِنْ هذا النَّصِّ نَرَى أَنَّ ابنَ جَرِيرٍ، لم يَقطَعْ بِرأْيٍ في المكانِ الذِي أُمِرَ بَنُو إسرائيلَ بِالهُبوطِ فيهِ . وقد عَارَضَ ابنُ كثيرٍ في تفسِيرِهِ رأيَ ابنِ جَرِيرٍ؛ فقالَ: "وهذَا الذي قالَهُ فيهِ نَظَرٌ؛ وَالحَقُّ أَنَّ المرادَ مِصْرَاً مِنَ الأَمصَارِ، كما رَوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيرِهِ؛ لأَنَّ مَوسَى عليهِ السَّلامُ يَقُولُ لهُم: هذا الذي سَأَلْتُم لَيسَ بِأَمرٍ عزيزٍ، بل هُوَ كثيرٌ في أَي بَلَدٍ دَخَلْتُمُوْهَا وَجَدْتُمُوهُ"[15].
وبذلك يظهرُ لنا أَنَّ ابنَ كثيرٍ يرى أَنَّ المرادَ بِالْمِصْرِ مكانٌ غيرُ مُعَيَّنٍ، وأَنَّ مُوسَى عليهِ السَّلامُ لم يَسْأَلْ رَبَّهَ إِجَابَةَ طَلَبِهِم؛ لأَنَّهُم كانوا بَطِرِينَ مُتَعَنِّتِينَ، وَاللهُ تَعَالى يَكْرَهُ مَنْ كانَ كذَلِكَ، وَقولُ موسَى لهُم: «اهبِطُوا مِصْرَاً فَإِنَّ لكُم ما سَأَلتُم» مِنْ بابِ التَّوبِيخِ وَالتَّجهِيلِ لهُم؛ إِذْ ليسَ حينئذٍ بلدٌ قريبٌ يستطيعونَ الوصولَ إليهِ . وَالذِي نُرَجِّحُهُ في هذا المقامِ هُوَ ما ذَهَبَ إِلَيهِ ابنُ كثيرٍ لِمَا يأْتي[16] :
أَولا: أَنَّ القِراءَةَ بِالتنوينِ مُتَوَاتِرَةٌ، وَابنُ جَرِيرٍ نفسُهُ لم يُجوزِ القِراءَةَ بِغَيرِهَا، وهذِهِ القِراءَةُ المتواترةُ، نَصٌّ في أَنَّ المرادَ مِنْ مِصْرٍ، أَيُ بَلَدٍ كانَ، لا مِصْرَ فِرعونَ، ثُمَّ إذا كانَ المرادُ بِهِ ذلك فليسَ لنا أَنْ نقولَ إِنَّهُ يصدقُ على مصرَ فِرعونَ؛ وذلكَ لأَنَّ الأَمصارَ التي تُنبِتُ ما طلبوا مِنَ البقولِ والخُضَرِ أَقربُ إليهِم مِن مِصْرَ، فليسَ منَ المعقولِ أَنْ يُؤْمَرُوا بالذهابِ إلى مِصْرَ فِرعونَ وَهِيَ بعيدةٌ عن مكانِهِم بُعداً شَاسِعَاً، ويتركوا الأَمصَارَ الأَقربَ إليهم وفيها ما يريدون .

9() التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري: 69/1 .
10() إعراب القرآن، الزجاج: 1/ 141 .
11() تفسير القرآن العظيم : 180/1 .
12() جامع البيان في تأويل القرآن: 136/2.
13() تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: 396/1 .
14() جامع البيان في تأويل القرآن 135/2 .
15() تفسير القرآن العظيم: 180/1 .
16() يُنظرُ: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: 152/1 .

ثانياً: لم يُنقلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ المؤرخينَ أَنَّهُم رجعوا إلى مِصْرَ بعدَ خُرُوجِهِم مِنهَا كمَا قالَ أَبو حَيَّانَ وَغَيرُهُ، بل الثابِتُ أَنَّ بني إسرائيلَ خرجُوا مِن مِصْرَ، وأُمِروا بعدَ خروجِهِم بدخولِ الأَرضِ المقدسَةِ لِقتالِ الجبارين، وَلكِنَّهُم أَبَوا طاعةَ نبيِّهِم عليهِ السَّلامُ فَعُذِّبُوا بالتِّيْهِ أَربعينَ سَنَةً؛ لِتَخَلُّفِهِم عن قِتَالِ الجبارين، وَلِعِصْيَانِهِم أَمرَ نبيِّهِم، وَمَاتُوا جميعاً في التِّيهِ، وَبَقِيَ أَبْناؤُهُم فامتثلوا أَمرَ اللهِ تعالى وَهَبَطُوا إلى الشَّامِ، وَقاتلُوا الجبَّارينَ وَدَخَلُوا الأَرضَ المقدَّسَةَ بِقِيَادَةِ يُوْشَعَ بنِ نُون .

ثالثاً: ليسَ في الآيَةِ ما يُشْعِرُ بِأَنَّ موسَى عليهِ السَّلامُ طَلَبَ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يجيبَهُم إلى رغبتِهِم، فكيفَ نقولُ بما لم يدلُّ عليهِ القُرآنُ الكريمُ ولو مِن طريقِ الإشَارةِ .

رابعاً: دخولُهُم في التِّيهِ كان عقوبةً لهُم على نكوصِهِم عن قتالِ الجبَّارين؛ ليدخلوا الأَرضَ المقدَّسَةَ . فالتِّيْهُ كانَ بِمثَابَةِ سِجْنٍ لهُم يُعاقبُونَ فيهِ، كَمَا يُشْعِرُ بذلكَ قولُهُ تعالى:(فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً) يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فكيفَ يخرجُ السَّجِينُ مِنْ سِجْنِهِ تلبيةً لِبَعضِ رَغَبَاتِهِ الْمُنْكَرَةِ . وَبِنَاءً على ذلكَ يكونُ الأَمرُ في قولِ موسَى لهُم: (اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ)، لِلتَّهدِيدِ وَالتَّوبِيخِ وَالتَّجهِيلِ .

رابعاً: السُّؤَالُ: مَا هُوَ إعرابُ [فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ] مِنْ قولِهِ تعالى :{فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم} (البقرة:137) .

الجَوَابُ: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ)؛ الفاءُ: استئنافيةٌ، السِّينُ: للاستقبالِ، يكفي: فعلٌ مضارعٌ مرفوعٌ بالضمةِ المقدرةِ على الياءِ للثقلِ، والكافُ: مفعولٌ بِهِ أَولٌ، وَالهَاءُ: مفعولٌ بِهِ ثانٍ . وَ(اللَّهُ) لفظُ الجَلالَةِ فاعِلٌ، وَالجُمْلَةُ استئنافيةٌ لا مَحِلَّ لَهَا مِنَ الإعرابِ[17] .

هذا وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُم، وَوَعْدٌ وَعَدَ نَبِيَّهُ بِالصَّبْرِ لَهُ، فَهُوَ "ضَمَانٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ في النَّصْرِ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأَنَّهُ إنَّما يكفيهِ إياهُم بِإِظْهَارِ مَا بعثَهُ بِهِ على كُلِّ دِينٍ سِوَاهُ؛ لأَنَّ "معنى السِّيْنِ أَنَّ ذَلِكَ كائنٌ لا مَحَالَةَ، وَإِنْ تَأَخَّرَ إلى حينٍ"[18]، وهذا كقَولِهِ: (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) فهذا تَأْوِيْلُهُ وَاللَّهُ أَعلم"[19].

وَهَهُنَا فائدَةٌ: وَهِيَ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ ثَانِي ضَمِيرَينِ مُتَّحِدَي الرُّتْبَةِ، مَعْمُوْلَيْنِ لِعَامِلٍ وَاحِدٍ غَيرِ نَاسِخٍ، وَلَيْسَ مَرْفُوْعاً، نَحْوَ: (ظَنَنْتَنِي إِيَّايَ) وَ(ظَنَنْتُنَكَ إِيَّاكَ). فَإِنْ كانَ الضَّمِيرُ الأَوَّلُ أَعْرَفَ مِنَ الثَّانِي، وَلَم يَقَعْ فِي مَحِلِّ الرَّفْعِ، فَعِنْدَ تَوَافُرِ هَذِهِ الشُّرُوْطِ يَجُوْزُ فِي الضَّمِيرِ الثَّانِي الوَجْهَانِ: الاتِّصَالُ وَالانْفِصَالُ، وَالوَصْلُ أَرْجَحُ مِنَ الفَصْلِ، وَمِثَالُهُ: {أَنُلْزِمُكُمُوْهَا}، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَسَيَكْفِيْكَهُمُ اللهُ}.

فَقَوْلُهُ: {فَسَيَكْفِيْكَهُمُ اللهُ}، العَامِلُ فِيْ الآيَةِ (يَكْفِي)، عَمَلَ فِيْ ضَمِيْرَيْنِ:

الأَوَّل : (كَافُ الخِطَابِ) .

وَالثَّانِي: الضَّمِيْرُ الْمُتَّصِلُ (هُمْ) .

وَالضَّمِيْرُ الأَوَّلُ أَعْرَفُ مِنَ الثَّانِي، وَهُوَ فِيْ مَحِلِّ نَصْبٍ؛ لِذَلِكَ يَجُوْزُ فِيْ الضَّمِيْرِ الثَّانِي الاتِّصَالُ وَالانْفِصَالُ، فَالاتِّصَالُ عَلَىْ مَا جَاءَتْ بِهِ الآيَةُ، وَالانْفِصَالُ فِيْ غَيْرِ القُرْآنِ: (فَسَيَكْفِيْكَ اللهُ إِيَّاهُمْ)[20] .

ثالثاً: علم الصرف

السُّؤَالُ: مَا هُوَ تَصْرِيْفُ: [يَسْتَحْيِي] مِنْ قَولِهِ تَعَالَىْ :{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِين}[البقرة:26] .

17() يُنظرُ: إعراب القرآن الكريم، قاسم حميدان دعاس : 85/1 .
18() معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي: 27/4 .
19() إعراب القرآن، الزجاج : 21/1 - 215 .
20() يُنظرُ: النحو الوافي، عباس حسن: 273/1 .

الجَوَابُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (لَا يَسْتَحْيِي) :" قَرَأَ حَفْصٌ وَالجَمَاعَةُ بِكَسْرِ الحَاءِ بَعْدَهَا يَاءَانِ، وَقَرَأَ ابنُ كَثِيرٍ وَيَعْقُوبُ بِكَسْرِ الحَاءِ بَعْدَهَا يَاءً وَاحِدَةً وَزْنُهُ يَسْتَفْعِلُ، وَلَمْ يُسْتَعْمَلْ مِنْهُ فِعْلٌ بِغَيْرِ السِّينِ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الِاسْتِدْعَاءُ، وَعَيْنُهُ وَلَامُهُ يَاءَانِ، وَأَصْلُهُ الْحَيَاءُ[21]، وَهَمْزَةُ الْحَيَاءِ بَدَلٌ مِنَ الْيَاءِ، وَقُرِئَ فِي الشَّاذِّ يَسْتَحِي، بِيَاءٍ وَاحِدَةٍ، وَالْمَحْذُوفَةُ هِيَ اللَّامُ كَمَا تُحْذَفُ فِي الْجَزْمِ، وَوَزْنُهُ عَلَى هَذَا يَسْتَفِعْ، إِلَّا أَنَّ الْيَاءَ نُقِلَتْ حَرَكَتُهَا إِلَى الْعَيْنِ، وَسَكَنَتْ، وَقِيلَ الْمَحْذُوفُ هِيَ الْعَيْنُ، وَهُوَ بَعِيدٌ[22]؛ "لأنهم يجتنبون الإعلال من جهتين والقول الآخر هو قول سيبويه سمعت أبا إسحاق يقول إذا قال سيبويه بعد قول الخليل وقال غيره فإنما يعني نفسه ولا يسمي نفسه بعد الخليل إجلالا منه له وشرح قول سيبويه أن الأصل استحيى كثر استعمالهم إياه فحذفوا الياء الأولى وألقوا حركتها على الحاء فأشبه افتعل نحو اقتضى فصرفوه تصريفه فقالوا استحى يستحي"[23].

والآيةُ تُشعِرُ بِصِحَّةِ نِسْبَةِ الحَياءِ إليهِ سُبحَانَهُ وتَعَالى؛ لأَنَّهُ في العَادةِ لا يُسلبُ الحياءُ إلا عَمَّنْ هُوَ شَأْنُهُ .

فائدة جليلة :

في الحديث: (مِن كلامِ النُّبُوةِ إذا لم تستَحِ فَاصنعْ ما شئتَ) قال المازني : النَّاسُ يغلطون في هذا: يظنونُهُ أَمراً بِالقحَةِ، وَليسَ كذلك، وإنما معناهُ: إذا فعلتَ فِعلاً لا يُستَحيَا مِن مِثلِهِ فَاصنعْ مِنهُ مَا شِئْتَ[24].

فَهُوَ تَرْغِيبٌ بِالفِعلِ الذِي لا يُسْتَحْيَا مِنهُ، لا ترغيبٌ عَنِ الفِعلِ الذِي يُسْتحيَا مِنْهُ، وَإِنْ كانَ لازِمُ كُلٍّ مِنْهُمَا الأَخَرَ .

رابعاً: علم البلاغة

السؤال: عَنِ البَلاغَةِ فِي قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾..؟

الجوابُ: هذا مَقطَعٌ مِن قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة:26] .

لَمَّا ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً بِالذُّبَابِ وَالعَنْكَبُوتِ فِي الضَّعْفِ وَالهَوَانِ سَخِرَ خُصُومُ الدَّعْوَةِ مِنْ هَذَا الكَلامِ، وَقَالُوا: مَا يَسْتَحِيي رَبُّ محمَّدٍ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً بِالذُّبَابِ وَالعَنْكَبُوتِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةِ[25].وَقَدِ ابْتَدَأَتِ الآيَةُ بِحَرْفِ التَّوكِيدِ (إِنَّ)، وَاسْمِيَّةِ الجُمْلَةِ بَعْدَهُ؛ لإِنْكَارِهِم هَذَا اللَّوْنَ مِنْ ضَرْبِ الأَمْثَالِ بِالمُحَقَّرَاتِ، وَإِنْكَارُهُم هَذَا إِنْكَارُ مُكَابَرَةٍ وَمُعَانَدَةٍ؛ لأَنَّهُم كَانُوا يَرَوْنَ هَذِهِ الأَمْثَالَ، وَيُؤْمِنُونَ بِرَوعَتِهَا وَسِحْرِ بَيَانِهَا، وَمِنْهَا قَوْلُهُم: أَجْرَأُ مِنْ ذُبَابَةٍ وَأَضْعَفُ مِنْ بَعُوضَةٍ، وَأَطْيَشُ مِنْ فَرَاشَةٍ، وَأَسْمَعُ مِنْ قَرَادٍ[26]، فَيَضْرِبُونَ الأَوَّلَ مَثَلاً فِي الشَّجَاعَةِ، وَالثَّانِي فِي الضَّعْفِ، وَالثَّالِثَ فِي الحَمَاقَةِ، وَالرَّابِعَ فِي حِدَّةِ السَّمْعِ. وَإِنَّمَا كَانَ هَدَفُهُم مِنْ هَذَا اللَّغْوِ الَّذِي أَثَارُوهُ حَوْلَ القُرْآنِ هُوَ التَّشْكِيكَ فِيهِ وَصَرْفَ النَّاسِ عَنْهُ[27]. وَقَدْ جَاءَتِ الجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ المُؤَكَّدَةُ ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا، بِإِثْبَاتِ صِفَةِ الحَيَاءِ للهِ تَعَالَى عَلَى مَا يَلِيْقُ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ لأَنَّ نَفِيَ الشَّيْءِ لا يَكُوْنُ إِلا إِذَا جَازَ إِثْبَاتُهُ[28]، وَأَمَّا قَوْلُهُم إِنَّهَا مِنْ بَابِ المَجَازِ أَوِ المُشَاكَلَةِ التَّقْدِيْرِيَّةِ[29]، فَبَعِيْدٌ؛ لاسْتِلْزَامِهَا نَفْيَ الصِّفَةِ أَو تَأْوِيْلَهَا. وَ(مَا) فِي قَوْلِهِ: ﴿ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا﴾ إِبْهَامِيَّةٌ تَوكِيْدِيَّةٌ تُزِيْدُ النَّكِرَةَ التِي بَعْدَهَا إِبْهَاماً وَتَنْكِيْراً[30]، وَهِيَ هُنَا

21() التبيان في إعراب القرآن، العكبري: 1/42-43 .

22() ينظر: معجم القراءات القرآنية، أحمد مختار عمر:1/39، التوجيهات والأثار النحوية والصرفية للقراءات الثلاثة بعد السبعة، د علي محمد فاخر: 79.

23() إعراب القرآن، النحاس: 1/203.

24() إعراب القرآن : الأصبهاني : 17.

25() يُنظَرُ: العُجَابُ فِي بَيَانِ الأَسْبَابِ، ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ:245، الكَشَّافُ:1/141.

26() يُنظَرُ: جَمْهَرَةُ الأَمْثَالِ، أَبُو هِلالٍ العَسْكَرِيُّ:1/327-531 و2/3-23.

27() يُنظَرُ: التَّفْسِيْرُ البَلاغِيُّ للاستِفهَامِ:1/40.

28() يُنْظَرُ: المصدرُ نفسُهُ:1/43.

29() يُنْظَرُ: الكَشَّافُ:1/113، مُعجَمُ المُصطَلَحَاتِ البَلاغِيَّةِ:3/67 .

30() يُنْظَرُ: خَصَائِصِ التَّعْبِيْرِ القُرْآنِي وَسِمَاتِهِ البَلاغِيَّةِ:2/457.

زَادَتْ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا تَوكِيْدَاً وَتَنْكِيْرَاً . وَقَدْ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً بِالبَعُوضَةِ؛ لِكَوْنِهَا آيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَةِ خَلْقِهِ وَبَدِيْعِ صُنْعِهِ[31]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ تَوْجِيْهٌ بَدِيْعٌ؛ فَإِنَّ الفَوْقِيَّةَ لَهَا مَعْنِيَانِ:

أَحَدُهُمَا: (فَمَا فَوْقَهَا) أَيْ: فَمَا تَجَاوَزَهَا فِي المَعْنَى الَّذِي ضُرِبَتْ فِيهِ وَهُوَ الضُّعْفِ وَالحَقَارَةِ.

وَثَانِيْهُمَا: (فَمَا فَوْقَهَا) أَيْ: فَمَا زَادَ عَلَيْهَا فِي الحَجْمِ. وَلَيْسَ فِي السِّيَاقِ ثَمَّةُ قَرِيْنَةٍ تُعَيِّنُ المُرَادَ مِنْهُمَا، وَكِلا المَعْنَيَيْنِ مَقْصُودٌ .

وَقَدِ اشْتَمَلَتْ جُمْلَةُ الهِدَايَةِ ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ عَلَى إِدْمَاجٍ حَسَنٍ، فَقَدْ أَدْمَجَتْ كُثْرَةَ هِدَايَةِ القُرْآنِ، بِكُثْرَةِ المُهْتَدِيْنَ بِهِ، وَفِي الآيَةِ أَيْضَاً لَفٌّ وَنَشْرٌ غَيْرُ مُرَتَّبٍ، فَفِي اللَّفِّ قَدَّمَ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ عَلَى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ لِلدِّلالَةِ عَلَى شَرَفِ العِلْمِ وَالإِيْمَانِ. وَفِي النَّشْرِ عَكَسَ فَقَدَّمَ جُمْلَةَ (الإِضْلالِ) عَلَى جُمْلَةِ (الهِدَايَةِ)؛ لِلتَّعْرِيضِ بـ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وَإِشْعَارِهِم بِأَنَّهُم هُمْ أَهْلُ الضَّلالِ، لِمَجَاوَزَتِهِم حَدَّهُم، وَمُجَاوَرَتِهِم حُكْمَهُم. وَفِي الخِتَامِ ذُيِّلَتِ الآيَةُ الكَرِيْمَةُ بِعِلَّةِ الحُكْمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾، وَقَدْ جَاءَتِ الآيَةُ بِالإِيْضَاحِ بَعْدَ الإِجْمَالِ، وَكَأَنَّهُ جَوَابٌ لِسُؤَالٍ قُدِّرَ فِي جُمْلَةِ الإِضْلالِ ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ وَهُوَ مَنْ هُمْ هَؤلاءِ الَّذِيْنَ يُضِلُّهُمُ اللهُ؟ وَلَقَدْ جَاءَ الجَوَابُ مُؤَكَّدَاً بِالنَّفِيِّ وَالإِثْبَاتِ وَمُحَقِّقَاً «مَعْنَى القَصْرِ وَالاخْتِصَاصِ»[32]؛ لِلدِّلالَةِ عَلَى أَنَّ الفِسْقَ، - وَهُوَ الخُرُوجُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُوْلِهِ - سَبَبٌ لِكُلِّ ضَلالٍ وَمُوْجِبٍ لِكُلِّ غَضَبٍ .

وَقَدْ وَرَدَ الأُسْلُوْبُ الحَكِيمُ فِي هَذِهِ الآيَةِ عَنْ طَرِيْقِ الجَوَابِ عَنْ سُؤَالِهِم، وَالَّذِي خَرَجَ عَنْ حَقِيْقَةِ الاسْتِفْهَامِ إِلَى مَعَانِي الاسْتِرْذَالِ وَالاسْتِحْقَارِ[33]، وَيُؤَيِّدُ هَذَا المَعْنَى اسْمُ الإِشَارَةِ (هَذَا)، وَالَّذِي جِيءَ بِهِ لِلتَّحْقِيرِ مِنْ شَأْنِ هَذَا المَثَلِ. وَقِيْلَ: الاسْتِبْعَادِ وَالاسْتِغْرَابِ، وَقِيلَ: الإِنْكَارِ وَالاسْتِهْزَاءِ[34]، وَهِيَ مَعَانٍ مُتَقَارِبَةٌ، فَجَاءَ الأُسْلُوْبُ الحَكِيمُ مُتَغَاضِيَاً عَنْ هَذِهِ المَعَانِي الدَّنِيْئَةِ كُلِّهَا بِالجَوَابِ عَنْ ظَاهِرِ السُّؤَالِ؛ تَنْبِيْهَاً عَلَى أَنَّ اللائقَ بِهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ حِكْمَةِ مَا أَرَادَ اللهُ بِهَذِهِ الأَمْثَالِ، وَهِيَ الاخْتِبَارُ وَالابْتِلاءُ الَّذِي يُضِلُّ اللهُ بِهِ كَثِيْرَاً مِنَ النَّاسِ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيْرَاً .

وَقَدْ جَاءَتِ المُقَابَلَةُ بَيْنَ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وَ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ وَبَيْنَ ﴿يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ وَ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ بِحُسْنِ التَّقْسِيْمِ، وَهُوَ لَوْنٌ بَدِيْعِيٌّ جَمِيْلٌ، إِذْ قَسَّمَتِ الآيَةُ النَّاسَ بِالنِّسْبَةِ لِهَذَا المَثَلِ إِلَى قِسْمَيْنِ: مُؤْمِنٍ مُصَدِّقٍ، وَكَافِرٍ مُكَذِّبٍ. وَاشْتَمَلَتْ هَذِهِ المُقَابَلَةُ عَلَى طِبَاقِي إِيْجَابٍ :

الأَوَّلُ: بَيْنَ اسْمَيْنِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾وَ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وَفَائِدَتُهُ حَصْرُ النَّاسِ فِيهِمَا، فَلا وُجُوْدَ لِقِسْمٍ ثَالِثٍ وَالثَّانِي: بَيْنَ فِعْلَيْنِ﴿يَهْدِي﴾ وَ ﴿يُضِلُّ﴾ وَفَائِدَتُهُ حَصْرِ الإِضْلالِ وَالهِدَايَةِ بِيَدِ اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ. وَقَدْ عَلَّقَهُمَا اللهُ تَعَالَى -هُنَا- بِهَذِهِ الأَمْثَالِ، فَـ(البَاءُ) فِي المَوْضِعَيْنِ سَبَبِيَّةٌ، أَيْ: يُضِلّ وَيَهْدِي بِسَبَبِهِمَا. فَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ آيَةٍ جَمَعَتْ بَيْنَ ثَنِيَّاتِهَا أَطْيَافَ البَلاغَةِ وَأَلْوَانَ البَدِيْعِ .

المبحث الثاني: مستويات علوم القرآن:

أولاً: سرُّ القرآن (الحروفُ المُقطَّعَةُ):

الحروفُ المُقطَّعَةُ: مَجْمُوعُ الْحُرُوفِ الْمَذْكُورَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ بِحَذْفِ الْمُكَرَّرِ مِنْهَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ حرفا وَهِيَ (أ ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ح ق ن) يجمعها قَوْلُكَ: ((نَصٌّ حَكِيمٌ قَاطِعٌ لَهُ سِرٌّ)) .وَهِيَ نِصْفُ الْحُرُوفِ عَدَدًا وَالْمَذْكُورُ مِنْهَا أَشْرَفُ مِنَ الْمَتْرُوكِ وَبَيَانُ ذَلِكَ مِنْ صِنَاعَةِ التَّصْرِيفِ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَهَذِهِ الْحُرُوفُ الْأَرْبَعَةُ عَشَرَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أصناف أَجْنَاسِ الْحُرُوفِ يَعْنِي مِنَ الْمَهْمُوسَةِ وَالْمَجْهُورَةِ، وَمِنَ الرِّخْوَةِ وَالشَّدِيدَةِ، وَمِنَ الْمُطْبَقَةِ وَالْمَفْتُوحَةِ وَمِنَ الْمُسْتَعْلِيَةِ وَالْمُنْخَفِضَةِ، وَمِنْ حُرُوفِ الْقَلْقَلَةِ. وَقَدْ سَرَدَهَا مُفَصَّلَةً ثُمَّ قَالَ: فَسُبْحَانَ الَّذِي دَقَّتْ فِي كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَتُهُ[35]. " وَمِنْ هَاهُنَا لَحَظَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ كَلَامًا فَقَالَ: لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ لَمْ يُنْزِلْهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَبَثًا وَلَا سُدًى، وَمَنْ قَالَ مِنَ الجهلة إن فِي الْقُرْآنِ مَا هُوَ تَعَبُّدٌ لَا مَعْنَى لَهُ

(32) الحَدِيثُ النَّبَوِيُّ مِنَ الوِجْهَةِ البَلاغِيَّةِ، عِزُّ الدِّينِ عَلِي السَّيِّد:133.
(33) يُنْظَرُ: الكَشَّافُ:117/1.
(34) يُنْظَرُ: مَفَاتِيْحِ الغَيْبِ:312/2. تَفْسِيرُ أَبِي السُّعُودِ:74/1، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ:365/1.
35() تفسير الكشاف، الزمخشري: 71/1 .

بِالْكُلِّيَّةِ فَقَدْ أَخْطَأَ خَطَأً كَبِيرًا، فَتَعَيَّنَ أَنَّ لَهَا مَعْنًى فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فَإِنْ صَحَّ لَنَا فِيهَا عَنِ الْمَعْصُومِ شَيْءٌ قُلْنَا بِهِ وَإِلَّا وَقَفْنَا حَيْثُ وَقَفْنَا وَقُلْنَا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَلَمْ يُجْمِعِ الْعُلَمَاءُ فِيهَا عَلَى شَيْءٍ مُعَيَّنٍ وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فَمَنْ ظَهَرَ لَهُ بَعْضُ الْأَقْوَالِ بِدَلِيلٍ فَعَلَيْهِ اتِّبَاعُهُ وَإِلَّا فَالْوَقْفُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ"[36]. وَالكَلامُ فِي الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ مقامان[37]:

المقام الأول : في تفسيرها:

فقد اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ على قولين:

الأول: أَنَّها لا تُفَسَّرُ؛ لكونها مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، فَرَدُّوا عِلْمَهَا إِلَى اللَّهِ وَلَمْ يُفَسِّرُوهَا، حَكَاهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عنهم أجمعين، وغيرهم .

الثاني: أَنَّها تفسرُ، واختلفوا في تفسيرها ومعناها على أَقوال:

1- فَمِنْهُمْ مَنْ فَسَّرَهَا بِأَنَّهَا مِن أَسْمَاءُ السُّوَرِ وهو قول عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَعَلَيْهِ إِطْبَاقُ الأكثر، ونقل عن سيبويه أَنَّهُ نصَّ عليهِ .

2- وَمِنهُم من قالَ: أَنَّها فَوَاتِحُ افْتَتَحَ اللَّهُ بِهَا الْقُرْآنَ، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَمُجَاهِدٍ .

3- وَمِنهُم من قالَ: هِيَ مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ، كالفرقان والذكر. وَهو قول مُجَاهِدٌ فِي رِوَايَةِ وقَتَادَةُ.

4- وَمِنهُم من قال: هِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ قولُ السَّدِّي وَالشَّعْبِي وابْنِ عَبَّاسٍ وسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وابْنُ مَسْعُودٍ وغيرهم.

5- وَمِنهُم من قال: هِيَ حروف مقطعة من أسماء وأفعال ، فالألف مِنْ (أَنا) وَاللَّامُ مِنَ (الله) ، وَالمِيْمُ مِنْ (أَعْلَمُ)، وَالمَعنى: أَنَا اللهُ أَعْلَمُ، وَهُوَ قَولُ ابنِ مَسْعُوْدٍ وَسِعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ، وَنَحْوِهِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ .

6- وَقَالَ أَبِو الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ: (الم): هَذِهِ الْأَحْرُفُ لَيْسَ مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ مِفْتَاحُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَلَيْسَ مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ مِنْ آلَائِهِ، وَبَلَائِهِ؛ وَلَيْسَ مِنْهَا حَرْفٌ إِلَّا وَهُوَ فِي مُدَّةِ أَقْوَامٍ وَآجَالِهِمْ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ بِأَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَبَيْنَ الْآخَرِ، وأن الجمع ممكن فهي أسماء للسور وَمِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ يُفْتَتَحُ بِهَا السُّوَرُ فَكُلُّ حَرْفٍ مِنْهَا دَلَّ عَلَى اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ وَعَلَى مُدَّةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

المقام الثاني : في الحِكْمَةِ منها : وقد اختلفُوا في الحِكْمَةِ مِنْهَا على أَقوالٍ:

1- قِيْلَ : إنما ذكرت ليعرف بِهَا أَوَائِلَ السُّوَرِ .

2- وَقِيْلَ: بَلِ ابْتُدِئَ بِهَا لِتُفْتَحَ لِاسْتِمَاعِهَا أَسْمَاعُ الْمُشْرِكِينَ إِذْ تَوَاصَوْا بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْقُرْآنِ حَتَّى إِذَا اسْتَمَعُوا لَهُ تُلِيَ عَلَيْهِمُ الْمُؤَلَّفُ مِنْهُ ، حَكَاهُما ابْنُ جَرِيرٍ وضعفهما ابنُ كثير من عدةِ وُجُوهٍ.

3- وَقِيْلَ: أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الْمَدَدِ وَأَوْقَاتُ الْحَوَادِثِ وَالْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، وَقَدْ رَدَّ ابْنُ كَثِيْرٍ هَذَا القَوْلَ فَقَالَ: وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الْمَدَدِ وَأَنَّهُ يُسْتَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ أَوْقَاتُ الْحَوَادِثِ وَالْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ فَقَدِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَطَارَ فِي غَيْرِ مَطَارِهِ .

4- وَقَالَ بَعضُ أَهْلِ العِلْمِ: إِنَّمَا ذُكِرَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا بَيَانًا لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَأَنَّ الْخَلْقَ عَاجِزُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ هَذَا مَعَ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي يَتَخَاطَبُونَ بِهَا، وقد حكاهُ الرَّازِيُّ عَنِ المُبردِ وجَمعٍ مِنَ المحققين، ونصرَهُ الزمخشري في كشافه أَتمَّ نصرٍ، وإليه ذهبَ شَيخُنا أبو العباسِ وشيخُنا الحَافظ المجتهدُ أبو العجاج المزي وحكاهُ لي عنهُ[38] .

قُلْتُ: وَالرَّاجِحُ فِيْ مَعْنَى وَمَغْزَىْ هَذِهِ الْحُرُوْفِ الْمُقَطَّعَةِ: أَنَّ لَهَا مَغْزَى، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهَا مَعْنَى فِي ذَاتِهَا[39]. وَهُوَ مَعْنَى القَوْلِ الأَوَّلِ مِنَ المَعَانِي وَالتَّفسِيرِ، وَالقَوْلِ الأَخِيْرِ مِنَ مَعَانِي الحِكْمَةِ .

36() تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 1/67-72 .

37() يُنظر: المصدر نفسهُ: 1/67 .

38() يُنظرُ: تفسير القرآن العظيم : 1/ 71 .

39() يُنظرُ: لقاء الباب المفتوح، محمد صالح : 96/26.

ثانياً: عِلمُ الرسم (رسمُ المصحف)

السُّؤَالُ: لماذا ذكر اسم (إبـر'هـم) بدون ياء في سورة البقرة وحدها دون سائر سور القرآن؟

الجَوَابُ: فِي المَبَاحِثِ الآتِيَةِ:

أَولاً: اللُّغَاتُ في اسْمِ إبراهيم:

وحكى الفراءُ فيهِ سِتَّ لُغَاتٍ: بِالياءِ والأَلفِ وَالواوِ؛ إبراهِيم إبراهَام إبراهُوم، وَبِحَذْفِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هذهِ الحروفِ الثَّلاثةِ وَإبقاءِ الحَرَكَةِ الَّتِي قبلَهَا: "إبراهِم" "إبراهَم" "إبراهُم"[40] .

ثانياً: عددُ مَرَّاتِ ذِكرُ الاسمِ وَمَوَاضِعُهُ:

ورد هذه الكلمة في القرآن (69) مرة؛ منها(6) مرات في سورة البقرة بدون الياء (إبراهام)، و(63) مرة في بقية المصحف بالياء (إبراهيم) .

ثالثاً: توضيحُ مَوَاضِعِ القِراءَاتِ مِنَ القُرآنِ:

قرئ في سورة البقَرة (إبراهيم)، وقرئ (إبـر'هم)؛ قرأها ابن عامر بخلف عن ابن ذكوان وهي قراءة متواترة ولم يقرأ هذا اللفظ بهذه الطريقة إلا في سورة البقرة فقط، وقرأ هشام بن عمار الدمشقي عن ابن عامر (إبـر'هم)، وهي قراءة عثمان في (33) موضعا؛ منها (15) في البقرة، و(18) متفرقات في غيرها، وهي : (3) في النساء، و(1) آخر الأنعام، و(2) آخر براءة، و(1) في سورة إبراهيم، و(2) في النحل، و(3) في مريم، و(1)آخر العنكبوت، و(1) في كُلٍّ مِنَ النجم والشورى والذاريات والحديد وأول الممتحنة . وأَمَّا ابنُ ذكوان - وهو الراوي الأخر عن ابن عامر - فقد ورد عنه جهان :

أحدهما : كهشام (إبراهام)، والآخر: مثل بقية القراء (إبراهيم)[41] .

رابعاً: رَسْمُ الاسمِ فِي المَصَاحِفِ:

أَمَّا الرَّسْم فقد رسمت مواضع البقرة تحديداً بلا ياء (إبـر'هم) في المَصَاحِفِ العِرَاقِيَّةِ وَالشَّامِيَّةِ وَفِي المُصْحَفِ الإِمَامِ، وَفِي باقِي المَصَاحِفِ بِيَاء(ابراهيم)؛ وَلِذَا فَإِنَّ رَسْمَهَا بِلا يَاء فِي سُوْرَةِ البَقَرَةِ لَيْسَ مُجْمَعاً عَلَيْهِ، وَلكِنَّ المُصْحَفَ الْمُنْتَشِرُ عِنْدَنَا بِرِوَايَةِ حَفْصٍ تُرْسَمُ فِيْهِ بِالحَذْفِ.

خامساً: معنى إبراهام: وفيهِ أَربَعَةُ أَقوالٍ:

1. أَنَّهُ اسمٌ أَعجميٌّ[42].
2. أَنَّهُ اسمٌ عَرَبِيٌّ مُشْتَقٌّ مِنَ البَرْهَمَةِ، وَهِيَ إِدَامَةُ النَّظَرِ[43].
3. وَمِنْهُم مَنْ فَسَّرَهُ بـ(الأَبِ الرَّحِيمِ)، وَقَالَ إِنَّ هَذَا مَعْنَاهُ فِي السِّرْيَانِيَّةِ[44]؛ وَعَلَّلَ السُّهَيْلِيُّ سَبَبَ التَّسْمِيَّةِ بِقَولِهِ فِي معرضِ التَّشَابُهِ القويّ بينَ السِّريَانِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ: "وَكَثِيرَاً مَا يَقَعُ الاتِّفاقُ بينَ السُّرْيانيّ والعربِيّ أَو يُقَارِبُهُ في اللَّفظِ، أَلا ترى أَنَّ إبراهيمَ تَفسِيرُهُ أَبٌ رَاحِمٌ، لِرحمتِهِ بالأَطفالِ، ولِذلِكَ جُعِلَ هوَ وسارةُ زَوجتُهُ كافِلَيْنِ لأَطفالِ المؤمنين الذين يَمُوتُونَ صِغارًا إلى يومِ القيامةِ "[45].

وفيهِ رائحة النقل عن أهل الكتاب؛ والطريف أن القرطبي تحمس لهذا التعليل، فقال : "ومِمَّا يدُلُّ على هذا ما خرَّجَهُ البُخاريُّ من حديثِ الرُّؤيا الطويلِ عن سَمُرَةَ، وفيه: أَنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ رَأَى في الروضةِ إبراهيم عليه السَّلامُ وحولَهُ أَولادُ الناسِ[46].

4. أَمَّا معنى (إبراهام) عند علماء التوراة، اتباعاً لسفر التكوين(5/17)، فهم يرون أَنَّ (راب) يعني "(كثير)، وأَنَّ (هام) يعني (جمهور)، ومِن ثَمَّ فهذا الاسمُ يعني (أَبَاً لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ)؛ وَذلكَ نبوءَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

40() إبراز المعاني من حرز الأَماني، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي المعروف بأبي شامة: 344 .
41() حرز الأَماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي:68.
42() تفسير الماوردي، النكت والعيون، أَبو الحسن علي بن محمد الماوردي:481/2 .
43() المصدر نفسهُ : : 482/2 .
44() المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي : 205/1 .
45() الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : 96/2 .
46() المصدر نفسهُ .

لإبراهِيمَ بِكُثْرَةِ النَّسْلِ، وَالصَّحِيْحُ أَنَّ أُبُوَّةَ إبراهامَ لَيْسَتْ أُبُوَّةَ (النَّاسِلِ)، وَإِنَّمَا هِيَ أُبُوَّةُ (الإِمَامَةِ)[47]، كَمَا سَيَأْتِي.

5. أَنَّ معنى (إبراهامَ) هُوَ(إِمَامُ النَّاسِ)؛ وهذا التَّفسِيرُ القُرآنِيُّ بِالمُرَادِفِ في قولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وإذِ ابْتَلَى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ، قَالَ: إِنِّيْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامَاً}، ولم يَفْطنْ إِلَيْهِ مُفَسِّرُو القُرآنِ كَمَا سَتَرَى. وَلَيْسَ البِرُّ وَالرَّحْمَةُ هُمَا أَعْظَمُ مَنَاقِبِ إبراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، حَتَّى يُشْتَقُّ مِنْهُمَا. وَإِنَّمَا أَفْضَلُ مَنَاقِبِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، القُدْوَةُ وَالأُسْوَةُ، كَمَا قالَ تَعَالَى فِيهِ: {إِنَّ إبراهِيمَ كَانَ أُمَّةً}، يُقْتَدَى بِهِ وَيُؤْتَمُّ، وَقَالَ فِيْهِ: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} وَقَالَ: {وإذِ ابْتَلَى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ، قَالَ: إِنِّيْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامَاً} (البقرة:124)، وَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ خُوْطِبَ بِهَا إِبْرَاهِيْمُ بِهَذَا الاسْمِ فِيْ القُرْآنِ الْكَرِيْمِ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الدَّقِيْقُ لِاسْمِ إِبْرَاهِيْمَ: (إِمَامُ النَّاسِ) الَّذِيْ لا يَصُحُّ فِي الْعِبْرِيَّةِ غَيْرُهُ.

سادساً: الحكمة من هذا الرسم اسم إبراهيم من غير ياء في سورة البقرة دون غيرها:

وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ العِلْمِ فِيْ سَبَبِ ذَلِكَ وَالْحِكْمَةِ مِنْهُ عَلَىْ أَقْوَالٍ مِنْهَا:

1. أَنَّهُ رسمٌ تَوقِيفِيٌّ لا تُعْلَمُ الْحِكْمَةُ مِنْهُ .

2. أَنَّ الرَّسْمَ العُثْمَانِيَّ رُوْعِيَ فِيهِ مُطَابَقَةُ اللَّفْظِ لِكُلِّ القِرَاءَاتِ الوَارِدَةِ عَنِ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَجَعَ الأَمرُ إِلى أَنَّ عِلَلَ الرَّسْمِ تَدُورُ مَعَ القِرَاءَاتِ؛ فَالعِلَّةُ فِي كِتَابَةِ (إبراهِيم) بِاليَاءِ تَدُلُّ على قِرَاءَتُهَا بالياءِ فِي جَمِيعِ القِراءَاتِ فِي ذَلِكَ المَوضِعِ، أَمَّا كتابَتُهَا بِدُونِ يَاءٍ، فَتَدُلُّ على أَنَّهَا تُقرأُ بياءٍ فِي قِراءَاتٍ، وَبِدُونِ يَاءٍ فِي قِراءَاتٍ أُخرى، فَفِيهَا الإِشَارَةُ إِلى قِراءَةِ مَن يَقرأُ : (إبراهام)، كَهِشَامٍ فِي الجَمِيْعِ، وَابْنِ ذَكْوَانَ كَذَلِكَ فِي أَحَدِ وَجْهَيْهِ، وَفِي البَقَرَةِ فَقَطْ فِي وَجْهِهِ الثَّانِي لَهُ . وَاللهُ أَعلمُ.

3. وَقِيلَ: في توجيهِ هذِهِ القِراءَةِ أَنَّ سُورةَ البقرةِ مُعظمُ حَدِيثِهَا لِبَني إِسْرائيلَ وَبَنُوا إسرائيلَ يَنْطقُونَهَا هَكَذا (إِبْرَاهَامَ)[48].

4. وَقِيلَ: أَنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ اسْمَان هُمَا (إِبْرَاهِمُ) بِدُونِ يَاءٍ وَسَطِيَّةٍ وَذَلِكَ قبلَ أَنْ يَرزُقَهُ اللهُبِالوَلَدِ، وَعِندَمَا رَزَقَهُ اللهُ بِالوَلَدِ (إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) جَعَلَ اللهُ اسْمَهُ (إبراهِيْمَ) بِزِيَادَةِ اليَاءِ. وقد أُخِذَ هذا المعنى مِن التَّوراةِ فِي الاصْحَاحِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ سِفْرِ التَّكْوِينِ فَفِيْهِ: "إِنَّ سَيِّدَنَا إبراهيمَ كانَ اسْمُهُ (إبرامَ) وَكانَ عُمْرُهُ [86] سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجِرُ ابْنَهُ اسْمَاعِيْلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَلَمَّا بَلَغَ إبراهيمُ [99] سَنَةً تَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ، وَقالَ لَهُ إِنَّهُ سَيَكُوْنُ أَبَا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ وَسَيَكُونُ اسْمُهُ (إبراهيمُ)؛ لِإِنَّهُ سَيَكْثُرُ نَسْلَهُ وَيَجْعَلَهُمْ أُمَماً وَبشَّرَهُ بِإِسْحَاقَ وَبَارَكَ لَهُ فِي إِسْمَاعِيْلَ وَإِسْحَاقَ، وَبِأَنَّهُ سَيَكْثُرُ نَسْلَهُمَا"[49].

5. وَقِيلَ: أَنَّ لفظةَ إبراهيمَ هِيَ اللَّفْظَةُ المُعْرَّبَةُ لاسْمِ إبراهِيمَ الآرَامِيّ، وَيَبدُو أَنَّ أَصْلَ اللَّفْظَةِ إبرهم، وَبِمَا أَنَّ ذِكْرَ إبراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَوَّلَ مَا كانَ فِي سُوْرَةِ البقرةِ فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى أَصْلِ الاسْمِ قَبْلَ أَنْ يُعَرَّبَ، وَيُقَرَّبُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ أَوَّلَ بيتٍ وُضِعَ للناسِ للذي بِبَكَّةَ}، وَهَذَا هُوَ الاسْمُ القَدِيمُ لِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ تُحوَّلَ الباءُ إِلى مِيْمٍ كَمَا فِيْ لُغَةِ العَرَبِ تَخْفِيْفَاً[50].

وَالحَاصِلُ: أَنَّ المَسْأَلَةَ فِيْهَا أَقوالٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَكُلُّهَا لا تَعْدُو كَوْنَهَا أَرَاءً وَاجْتِهَادَاتٍ مِنْ أَصْحَابِهَا، وَلَكِنْ لَوْ سَلَّمَ الطَّالِبُ لَهَا بِمَسْأَلَةِ تَوْقِيْفِ الْمَصَاحِفِ العُثْمَانِيَّةِ لانْتَهَى الإِشْكَالُ، وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَىْ الْبَحْثِ عَنِ الأَسْبَابِ وَالحِكَمِ فِيْ كُلِّ ذَلِكَ إِلَّا لِطَلَبِ ثَرَاءِ عَقْلٍ أَوْ طَمْأَنَةِ قَلْبٍ . وَاللهُ المُوَفِّقُ .

ثالثاً: علم الوقف (الوقفُ والابتداءُ)

47() إعجاز رسم القران وإعجاز التلاوة، محمد شملول : 122.
48() قرأته عن بعض أهل العلم ولا أتذكر المصدر.
49() إعجاز رسم القران وإعجاز التلاوة: 122.
50() جوابُ الشيخِ بسَّام جرار عن هذا السؤال عن طريقِ أَحدِ الأَصدقاء .

تعانق الوقف[51]:

سُؤَالٌ: ما السِّرُّ فِي تَعَانُقِ الوَقْفِ (ۛ ۛ) في قَولِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِلمُتَّقِين» (البقرة:2).

الجَوَابُ: تَتَحَدَّثُ هَذِهِ الآيةُ عنِ القرآنِ الكريمِ وعلوِ مَنزِلَتِهِ وفضلِهِ فِي هِدَايَةِ النَّاسِ، ولا سِيَّمَا المُتَّقِينَ مِنهُم، الهِدَايَةِ العِلْمِيَّةِ وَالعَمَلِيَّةِ؛ فقوله: «لَا رَيْبَ ۛ» يُعانِقُ قولَهُ: «فِيهِ ۛ» ويُراقِبُهُ وَيُجَاذِبُهُ؛ فإنْ وَقَفْتَ على «لَا رَيْبَ»؛ فلا تَقِفْ على «فِيهِ»، وإنْ وَقَفْتَ على «فِيهِ»؛ فلا تَقِفْ على «لَا رَيْبَ» .

القراءة:

أَوَّلاً: إذا وَقَفَ القَارِئ على المَوضِعِ الأَوَّلِ؛ تكُونُ القِرَاءَةُ عَلَى هذا النَّحوِ :

«ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ» ، «فِيهِ ۛ هُدًى لِلمُتَّقِين» .

ثانياً: إذا وَقَفَ القَارِئ على المَوضِعِ الثَّانِي دُونَ الأَوَّلِ؛ تَكُونُ القِرَاءَةُ على هذا النَّحوِ :

«ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ» ، «هُدًى لِلمُتَّقِين» .

الدلالة:

فَالوَقفُ على المَوضِعِ الأَوَّلِ يُفِيدُ نَفيَ الرَّيبِ عَنِ الكِتَابِ جُمْلةً، مَعَ إِثبَاتِ الهِدَايَةِ فِي آيَاتِهِ تَفصِيلاً، وَالوَقفُ على المَوضِعِ الثَّانِي يُفِيدُ نَفيَ الرَّيبِ عَنْ آيَاتِ الكِتَابِ تَفصِيلاً، مَعَ إِثبَاتِ الهِدَايَةِ لَهُ إِجْمَالاً . وَجَوازُ الوَقفِ على أَحدِ المَوضِعَينِ يُفِيدُ جَوَازَ الجَمعِ بَينَ المَعنَيينِ؛ وَهُوَ نَفيُ الرَّيبِ عنِ الكِتَابِ جُمْلةً وَتفصِيلاً، كمَا يُفِيدُ إِثباتُ الهدايةِ لَهُ ولآياتِهِ جُمْلةً وتفصيلاً .

بلاغة تعانق الوقف:

لَقَد جَاءَ تَعَانُقُ الوَقفِ فِي هَذِهِ الآيَةِ - فِي أَوَّلِ مَوَاضِعِهِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ - بَيْنَ وَقْفَينِ :

الوَقفُ الأَولُ : يَتَحَدَّثُ عَن نَفْيِ الرَّيبِ عَنِ القُرآنِ الكريمِ؛ وَهُوَ المُنَاسِبُ لافتِتَاحِ أَوَّلِ سُورَةٍ فِيهِ بَعدَ الفَاتِحَةِ؛ لا سِيَّمَا وَقَد ذُكِرَ قَبلَهَا أَوَّلُ الحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ فِي القُرآنِ الكريمِ، وَالتِي جِيْءَ بِهَا – عَلَىْ القَولِ الرَّاجِحِ - لِتَحَدِّي المُنكِرِينَ لِهَذَا الكِتَابِ، فَجَاءَ نَفيُ الرَّيبِ عنهُ جُمْلَةً وَتَفْصِيْلاً فِي هَذَا المَوضِعِ؛ لِلزِّيَادَةِ فِي التَّحَدِّي وَالتَّنَوُّعِ فِيهِ .

وَالوَقفُ الثَّانِي: يَتَحَدَّثُ عن هِدَايَةِ هذا الكِتَابِ، وَأَنَّ هِدَايَتُهُ مُجْمَلَةً وَمُفَصَّلَةً؛ وَلَكِنَّهَا قُدِّرَتْ لِنَوْعٍ مِنَ النَّاسِ، نعتَهُمُ القُرآنُ بِالمُتَّقِينَ، وَذَكَرَ أَوْصَافَهُم بِمَا تَلا هَذِهِ الآيَةِ مِنَ الآيَاتِ .

وَفَائِدَةُ الجَمْعِ بَينَ المَوضِعَينِ – هَا هُنَا - هُوَ دَفْعُ توهُّمِ أَنَّ هَذا الكِتَابَ إِنَّمَا هُوَ كِتَابُ عِلْمٍ وَتَحَدٍّ فَحَسْب؛ بل هُوَ فَضْلاً عن ذَلِكَ كُلِّهِ كِتابُ هِدَايَةٍ ونُورٍ وشِفاءٍ وَرَحمَةٍ؛ فَجَمَعَ بَينَ الجَانِبِ العِلمِي وَالجَانِبِ العَمَلِي . وَتَقدِيمُ المَوضِعِ الأَوَّلِ «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ» على المَوضِعِ الثَّانِي «فِيهِ ۛ هُدًى لِلمُتَّقِين» هُوَ مِن بَابِ تَقدِيمِ العِلْمِ على العَمَلِ؛ لِكَونِهِ شَرْطٌ مُقَدَّمٌ فِيهِ . وَتَقدِيْمُهُ مَنْفِيَاً على العَمَلِ وَهُوَ فِي جَانِبِ الإِثبَاتِ، هُوَ مِن بَابِ تَقدِيمِ التَّخْلِيَةِ على التَّحْلِيَةِ، وَالتَّصْفِيَةِ على التَّرْبِيَةِ .

فوائد تعانق الوقف :

وَأَمَّا فَائِدَةُ جَوَازِ الوَقفِ على المَوضِعِ الأَوَّلِ «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ»؛ فَهُوَ الرَّدُّ على مُنكِرِي القُرآنِ وَالمُشَكِّكِينَ فِيهِ جُمْلَةً، وَأَنَّهُ أُنزِلَ على قَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَالكُفَّارِ مِنَ المُلحِدِينَ وَأَهلِ الكِتَابِ وَغَيرِهِم .

وَأَمَّا فَائِدَةُ جَوَازِ الوَقفِ على المَوْضِعِ الثَّانِي «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ۛ»؛ فَهُوَ الرَدُّ على المُؤمِنِينَ بِالقُرآنِ جُمْلَةً، وَلَكِنَّهُم قد يُنكِرُونَ بَعْضَ آيَاتِهِ أَو دِلالاتِ هذهِ الآيَاتِ، كَحَالِ مُعظَمِ أَهلِ البِدَعِ وَالضَّلالِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَضْلاً عَن غَيرِهِم .

رابعاً: القَصَصُ

قصة هاروت وماروت:

51() تعانق الوقف في القرآن الكريم، دراسة دلالية، بحث غير منشور ، د. أحمد جلعو اذياب : 7-8 .

قال الله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة: 103]

في الألفية الخامسة قبل الميلاد كانت بداية الحضارة السومرية في بلاد الرافدين، حيث أَنشأ السومريون المدن كأُور عاصمة بابل ونيبور ولارسا ولجاش وكولاب وكيش وإيزين وإريدو، واشتهرت بابل في ذلك الوقت بممارسة كثير من الطقوس و التعاليم السحرية، ففي تلك الفترة تقريباً - على الأظهر- أنزل الله الملكين هاروت وماروت بمدينة بابل لتعليم الناس السحر ابتلاءً من الله عز، وللتمييز بين السحر والمعجزة، حتى يتبين للناس صدق الرسل و الأنبياء و كذب الدجاجلة والسحرة، فـ"(هَارُوتَ وَمَارُوتَ) اسْمُ مَلَكَيْنِ أَنْزَلَهُمَا اللهُ؛ ابْتِلَاءً مِنْهُ؛ لِتَعْلِيمِ السِّحْرِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ"[52]. فهما "ملكان وجدا للفتنة"[53]؛ وذلك أنَّ السِّحر سِحران كما قَالَ قَتَادَة : سحر تعلمه الشَّيَاطِين، وسحر يُعلمهُ هاروت وماروت[54]؛ "فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، وتعليم الملكين امتحانا مع نصحهما لئلا يكون لهم حجة"[55].

وقد اختلف المفسرون في قصة هاروت وماروت المذكورين في الآية على ستة أقوال :

القول الأَول: أنهما ملكان نزلا من السماء، وهو قول جمهور المفسرين، واختلفوا في قصة نزولهما:

1ـ فقيلَ: أن الله تعالى لما أطلع الملائكة على معاصي بني آدم، عجبوا من معصيتهم له مع كثرة أنعمه عليهم، فقال الله تعالى لهم: أما إنكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم، فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وأحل لهما كل شيء، على ألا يشركا بالله شيئاً، ولا يسرقا، ولا يزنيا، ولا يشربا الخمر، ولا يقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فعرضت لهما امرأة - وكان يحكمان بين الناس- تخاصم زوجها واسمها الزهَرة، فوقعت في أنفسهما، فطلباها، فامتنعت عليهما إلا أن يعبدا صنماً، ويشربا الخمر، فشربا الخمر، وعبدا الصنم، وواقعاها، وقتلا سائباً، مر بهما خافا أن يشهر أمرهما، وعلماها الكلام الذي إذا تكلم به المتكلم عرج به إلى السماء، فتكلمت وعرجت، ثم نسيت ما إذا تكلمت به نزلت فمسخت كوكباً، قال كعب: فوالله ما أمسيا من يومهما الذي هبطا فيه، حتى استكملا جميع ما نهيا عنه، فتعجبت الملائكة من ذلك، ثم لم يقدر هاروت وماروت على الصعود إلى السماء، فكانا يعلمان السحر . وقد رويت هذه القصة عن: عبد الله بن مسعود، وكعب الأحبار، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عمر، وعبيد الله بن عتبة، ومجاهد، وعطاء، وقتادة، والسدي، والربيع بن أنس، والكلبي .

وقد أنكر جماعة من المفسرين هذه القصة وعدها من الإسرائيليات المتلقفة عن مَسْلَمةِ أهل الكتاب، منهم: الماوردي، وابن حزم، والقاضي عياض، وابن العربي، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطبي، والخازن، وأبو حيان، وابن كثير، والبيضاوي، والألوسي، والقاسمي، وسيد قطب، والألباني .

2ـ وقيل: إنهما نزلا بتعليم السحر للناس. روي ذلك عن عبد الله بن مسعود، وابن عباس، والحسن البصري، وقتادة، وابن زيد، ورجحه الطبري، والزجاج، والجصاص، والبغوي، والزمخشري، والرازي، والنسفي، والخازن، والبيضاوي، والشوكاني، والسعدي، وابن عثيمين .

3 ـ وقيل: إنهما نزلا بتعليم التفرقة بين المرء وزوجه، روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والكلبي.

52() السراج في بيان غريب القرآن، محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري:12

53() ايسر التفاسير: أبو بكر الجزائري:91/1.

54() تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زَمَنِين المالكي:165/1 .

55() تفسير السعدي، السعدي:61 ، وينظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي:223/1 .

القول الثاني: أن المراد بهاروت وماروت، جبريل وميكائيل - عليهما السلام -، وأن الله تعالى لم ينزل عليهما السحر، خلافاً لما زعمته اليهود، وأن «ما» في قوله تعالى: {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ} للنفي. روي ذلك عن ابن عباس، وأبي العالية، وعطية العوفي، والربيع بن أنس .

القول الثالث: أن المراد بهما: داود وسليمان عليهما السلام، وأن «ما» أيضاً نافية، والمعنى: أن الله تعالى لم ينزل السحر على داود، وسليمان . روي ذلك عن عبد الرحمن بن أبزى، وكان يقرأ الآية: {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلِكَيْنِ} بكسر اللام، وهي قراءة شاذة .

القول الرابع: أنهما علجان، كانا ببابل ملكين. روي عن الضحاك، والحسن، وأبي الأسود الدؤلي .

القول الخامس: أن المراد بهما رجلان ساحران كانا ببابل. روي ذلك عن ابن عباس .

القول السادس: أنهما قبيلتان من الجن. وهو قول عن ابن حزم رحمهُ اللهُ، والله تعالى أعلم .

الترجيح:

والذي يظهر واللهُ تعالى أعلمُ أَنَّ هاروت وماروت كانا ملَكين من ملائكة السماء أنزلهما الله إلى الأرض فتنة للناس وامتحاناً، وأنهما كانا يعلمان الناس السحر بأَمرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا؛ فللهِ تعالى أَنْ يمتحِنَ عِبادَهُ بما شاءَ كما امتحنَ جُنُودَ طالوتَ بعدمِ الشُّربِ مِنَ النَّهرِ، وكما امتَحَنَ عِبادَهُ بخلقِ إبليسَ وَهُوَ أَصْلُ الشَّرِ، ونهى عبادَهُ عن متابعتِهِ وحذَّرَ مِنهُ. وهذا قولُ جَمهُور المفسرين .

برهان ذلك:

1 . قولُهُ تعالى: {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ}، قراءة الملَكَينِ بفتح اللام، وهي قراءة سبعية؛ وعليه فإنَّ هاروت وماروت هما بدل أو عطف بيان للملكين(56).

2. قولُهُ تعالى في الآية: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} . فالضمير في قوله:{يُعَلِّمَانِ} وقوله: {مِنْهُمَا} عائد على الملكين؛ لأَنَّهُما أقرب مذكور، ولأنه ورد بصيغة التثنية فهو مبدل منهما .

وفي قولهما: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} دليل واضح على أنهما كانا يعلمان السحر، وإلا فما فائدة تحذيرهما من ذلك؟! وهذا الذي قلنا هو الظاهر المتبادر من السياق .

3. أَنَّ المرويَ عن الصحابة والتابعين في قصة هاروت وماروت، حاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، ولا يصح فيها حديث مرفوع، والأصل أنه لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن والسنة .

4. أَنَّ ما نُسِبَ إلى الملكين - بأَنَّهما شَرِبَا الخمرَ، وَقَتَلا نَفْساً وَزَنَيَا- غيرُ جائزٍ فِي حقِّهِمَا لِمَا تقرر مِنْ عِصْمَةِ المَلائكةِ عليهِمُ السَّلامُ مِن ذلك.

فإنْ قِيلَ: إنَّ تعليمَ المَلكينِ لِلسِّحْرِ كُفْرٌ، لِقَولِهِ تعالى: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ}، وهذا فيهِ قَدْحٌ بِعِصْمَتِهِم؛ لأَنَّهُ لا يجوزُ عليهِم تعليمُ السِّحْرِ..؟!

فَجَوابُهُ: أَنَّهُ ليسَ في تعليمِ المَلَكَينِ لِلسِّحْرِ كُفر، ولا يَأْثَمَانِ بِذلِكَ؛ لأَنَّهُ كانَ بإذنِ اللهِ لَهُمَا، وهما مُطِيعانِ فيهِ، وَإِنَّمَا الإثمُ على مَن تعلمَهُ مِنَ النَّاسِ، وقد أَخبرَ سُبْحَانَهُ بِأَنَّ المَلَكَينِ كانا يَنْهَيَانِ عن تَعَلُّمِهِ أَشَدَّ النَّهْيِ، حيثُ قالَ: {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} . وقد بينا من قبلُ أَنَّ للهِ سُبحَانَهُ أَنْ يبتلي عبادَهُ بِمَا شَاءَ، وَمِنْ ذلكَ ابتلائهم بملكين يعلمانِهِم السِّحْرَ، والله تعالى أَعلى وأَعلم .

خامساً: علم التفسير المفردات وغريب القرآن(57)

ت	الكلمة	المعنى	الرقم

56() التفسير الوسيط: 228/1 .

57() يُنظرُ: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، وتفسير القرآن، محمد بن صالح، أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري .

1	استوى الى السماء	عَمَدَ إلى السماءِ وَقَصَدَ، وعلا إليها وارتفع؛ لخلقها وبنائها .	29
2	الأَسماء كُلَّهَا	والأسماءُ جمعُ اسمٍ؛ وَ(ال) فيها للعُمُومِ؛ بدليلِ قولِهِ: (كُلَّهَا)؛ وهل هذه الأسماء أَسماء لمسمياتٍ حاضرةٍ؛ أَو لِكُلِّ الأَسماءِ؟ للعلماء فيهِ قولانِ؛ والأَظهر أَنَّها أَسماءٌ لمسَمَّيَاتٍ حاضِرةٍ؛ وَهَذِهِ الأَسْماءُ ما يحتاجُ إِليهَا آدَم وَبَنُوهُ في ذلكَ الوقتِ .	31
3	اهبطوا منها جميعا	أي الجنة، وهو قول جمهور المفسرين، وليس بستاناً في الأرض، كما قالَ بعضهم .	36
4	فتلقى آدمُ مِن ربِّهِ كلماتٍ	الكلمات : هي قوله تعالى : {ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين} [الأعراف: 23] . وهي من تفسير القرآن بالقرآن .	37
5	يسومونكم	يوردونكم موارد الردى والهلاك بما يصيبونكم به من عذاب، من السوم وهو الرعي .	49
6	يستحيون نساءكم	يستبقون نساءكم؛ كانوا يتركون ذبح البنات ليكبرن للخدمة، ويذبحون الأولاد خوفاً منهم إذا كبروا، فإذا ذهب الرجال، وبقيت النساء ذلّ الشعب، وانكسرت شوكته .	49
7	المن والسلوى	المن : شيء يشبه العسل؛ والسلوى: طائر ناعم يسمى "السُّمَانَى"، وهما من أحسن الأطعمة، وأَنفعها للبدن، وأَلذُّهَا مذاقاً .	57
8	وادخلوا الباب سجدا وقولوا حِطَّة	أُمِرُوا بأن يدخلوا سَاجِدين، وأنْ يقولوا : حط ذنوبنا عنا، فهي بمعنى قولوا : ربنا اغفر لنا؛ والمراد: اطلبوا المغفرة من الله سبحانه وتعالى إذا دخلتم، وسجدتم .	58
9	ولا تعثوا في الأرض مفسدين	لا تسيروا فيها مفسدين؛ لأن العُثو والعِثي معناه الإسراع في الإفساد؛ والإفساد في الأرض يكون بالمعاصي .	60
10	الطعام الواحد	المنَّ والسَّلوَى، والمرادُ بِالطَّعَامِ هُنا الجِنسُ؛ أوِ المنُّ يُعتبرُ شَرَابٌ .	61
11	بقلِها وقثّائها وفومِها وعدسِها وبصلِها	{بقلها} : هو النبات الذي ليس له ساق، مثل الكراث؛ {وقثائها} : هي صغار البطيخ؛ {وفومها} هو الثُّوم؛ يقال: "ثوم" بالمثلثة؛ ويقال: "فوم" بالفاء الموحدة، {وعدسها} و{وبصلها} : معروفان .	61
12	الصابئين	اختلف فيهم على أقوال؛ فقيلَ: فرقة من النصارى؛ أو اليهود؛ أوالمجوس؛ وقيلَ: إنهم أمة مستقلة؛ وقيلَ: إنهم من لا دين لهم: من كانوا على الفطرة؛ ولا يتدينون بدين. وهو الأقرب؛ فإذا أُرسِلَ إليهم الرسلُ فآمنوا بالله واليوم الآخر ثبت لهم انتفاء الخوف والحزن، وجاء في أيسرِ التفاسير:" أمة كانت بالموصل يقولون لا إله إلا الله. ويقرأون الزبور. ليسوا يهوداً ولا نصارى، واحدهم صابئ، ولذا كانت قريش تقول لمن قال لا إله إلا الله: صابئ، أي مائل عن دين آبائه إلى دين جديد وُجِّدَ فيهِ الله تعالى" .	62
13	لا فارض ولا بكر عوان	لا كبيرة مسنة، ولا صغيرة لم تلد بعد، والعوان : النصف وسط بين المسنة والصغيرة . والعوان المتوسطة السن، وإنما اختيرت لهم العوان لأنها أنفس وأقوى	68
14	مسلمة لا شيةفيها	مسلمة: أي من العيوب؛ لا شية فيها : أي ليس فيها لون يخالف لونها؛ مأخوذ من وشي الثوب. وهو تلوينه بألوان مختلفة .	71
15	أميون	جمعُ أميّ، لا يقرأ ولا يكتبُ، مَنْسُوْبونَ إلى الأمة الأمّيَّة، التي هي على أصلِ	78

	ولادات أمهاتها ، لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها .	
16	لا يعلمون الكتاب إلا أماني	أماني: جمع أمنية، وهي التلاوة أي إلا قراءة بدون فهم للمعنى؛ ومن لم يفهم المعنى فهو في حكم من لا يعرف القراءة؛ لأنه لا يستفيد شيئاً بقراءته . 78
17	لا تقولوا راعنا	من المراعاة؛ وهي العناية بالشيء؛ وكان الصحابة يقولون: "يا رسول الله، راعنا"؛ وكان اليهود يقولون: "يا محمد، راعنا"؛ لكن اليهود يريدون بها معنى سيئاً؛ يريدون منها اسم فاعل من الرعونة؛ وهي الحمق، والهوج؛ لكن لما كان اللفظ واحداً وهو محتمل للمعنيين نهى الله عز وجل المؤمنين أن يقولوه تأدباً، وابتعاداً عن سوء الظن . 104
18	وإذِ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمَّهُنَّ	قال قومٌ: إنَّهُ أَمَرَهُ بخمسٍ مِن سُنَنِ الفِطرة (كلمات شرعية)، وعليه كثير من أهلِ التفسير، وقال قوم: إنَّ الذي ابتلاهُ بهِ ما أَمرهُ بهِ من ذبحِ ولدِهِ. (كلمات شرعية) . وقال ابنُ عثيمين: واختلف المفسرون في هذه الكلمات؛ وأَصَحُّ الأَقوالِ فيها أَنَّ كُلَّ ما أَمَرَهُ بِهِ شَرعاً، أَو قَضَاهُ عَلَيهِ قدَرَاً، فَهُوَ كَلِمَاتٌ . 124
19	مثابةً للناس	مرجعا لهم، يثوبون إليه، أي يرجعون إليه في حجهم وعمرتهم كل عام . 125
20	الأسباط	الأَسْبَاطَ جمعُ سِبْطٍ؛ وَالسِّبْطُ الحفيدُ، والسِّبطُ: هو التتابعُ لأنَّهم متتابعون، والمراد بهم هنا أَولادُ يعقوبَ الاثنا عَشَرَ، والأَسباطُ في اليهود كالقبائلِ في العربِ، وسُمِّيَ بذلك؛ ليفصلَ بينَ ولدِ إسماعيل وولدِ إسحاقَ . 136
21	صبغة الله	الصبغة اللون، والمعنى: الْزَمُوا صبغة الله أي دين الله، وفطرته التي فطر الناس عليها، وإنما سماه صبغة؛ لأَنَّ أَثَرَ الدين يظهر على المتدين كما يظهر أَثَرَ الصِّبغ على الثوب . 138

المصادر والمراجع :

- ✓ إبرَازُ المَعَانِي مِنْ حِرزِ الأَمَانِي، أَبُو القَاسِمِ شِهَابُ الدِّينِ عَبدُ الرَّحمَنِ بنِ إسمَاعِيل بنِ إبرَاهِيم المَقدِسِيُّ المَعرُوفُ بِأَبِي شَامَة (ت665هـ)، دَارُ الكُتُبِ العِلمِيَّةِ، بَيرُوتُ، (د.ط) (د.ت).
- ✓ إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد.
- ✓ أيسرُ التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ط5، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، 1424هـ- 2003م.
- ✓ تَفْسِيْرُ التَّحْرِير وَالتَّنْوِيْر، مُحَمَّدُ الطَّاهرُ بنُ مَحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ الطَّاهِرِ بنِ عَاشُوْرِ التُّوْنِسِيُّ (ت1393هـ)، الدَارُ التُّونِسِيَّةُ للنَّشْرِ، تُونسُ، 1404هـ/ 1984م.
- ✓ تَفْسِيْرُ ابنِ عُثَيمِينَ، مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدِ العُثَيْمِين (ت:1421هـ)، ط1، دَارُ الثُّرَيَّا لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الرِّيَاضُ،1425 هـ - 2004 م.
- ✓ تَفْسِيرُ ابنِ كثيرٍ المُسَمَّى بـ(تَفْسِيرِ القُرآنِ العَظِيمِ)، إسماعيلُ بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت774هـ)، تَحقِيقُ: سامي بن محمد سلامة، ط2، دَارُ طِيبَةَ للنَّشْرِ، 1999م.
- ✓ التَّفْسِيْرُ البَلاغِيُّ لِلاسْتِفْهَامِ فِي القُرآنِ الحَكِيمِ ، د، عَبْدُ العَظِيْمِ المِطْعَنِيُّ، ط2، مَكْتَبَةُ وَهْبَةَ، القَاهِرَةُ، 1428هـ- 2007م.
- ✓ تَفْسِير الطبري المُسَمَّى بِـ(جَامِعِ البَيَانِ في تأْوِيلِ القُرآنِ)، مُحَمَّد بنُ جَرِيرِ بنِ غَالِبٍ الآملي أَبو جعفر الطبري (ت300هـ)، تَحقِيقُ: أَحمد مُحَمَّد شاكر، ط1، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، 1420هـ-2000م.
- ✓ تَفْسِيرُ القُرْطُبِيّ المُسَمَّى بِـ(الجَامِعُ لِإحكَامِ القُرآنِ)، أَبو عَبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ أَحمَدَ الأَنصَارِي الخَزرَجِيُّ القُرْطُبِيُّ(ت671هـ)، تَحقِيقُ: هِشَام سَمِير البُخَارِي، ط1، دَارُ عَالَمِ الكُتُبِ، الرِّيَاضُ، 2003م.
- ✓ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1998م .

- ✓ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت:370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م
- ✓ التَّوْجِيْهَاتُ وَالأَثَارُ النَّحْوِيَّةُ وَالصَّرْفِيَّةُ لِلْقِرَاءَاتِ الثَّلاثَةِ بَعْدَ السَّبْعَةِ، أ. د عَلِي مُحَمَّد فَاخِر، دَارُ السَّلامِ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، ط1، 2013م .
- ✓ جَمْهَرَةُ الأَمْثَالِ، أَبُو هِلالٍ الحَسَنُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَهْلٍ العَسْكَرِيُّ (ت:395هـ)، دَارُ الفِكْرِ، بَيْرُوتُ.
- ✓ الحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ مِنَ الوِجْهَةِ البَلاغِيَّةِ، د. عَزُّ الدِّيْنِ عَلِي السَّيْد، دَارُ الطِّبَاعَةِ المُحَمَّدِيَّةُ بِالأَزْهَر، القَاهِرَة، 1393هـ - 1973م.
- ✓ حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي، دار الكتاب النفيس، بيروت، الطبعة الأولى، 1407م .
- ✓ ديوان الأُقَيْشِر الأَسَدِي، صَنْعَةُ محمد علي دقة، دار صادر، لبنان، بيروت، ط1، 1997م.
- ✓ السراج في بيان غريب القرآن، محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م .
- ✓ صَحِيحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ وَزِيَادَاتِهِ، أَبو عبدِ الرَّحمنِ مُحَمَّد ناصر الدِّينِ بن الالباني، (ت1420هـ)، ط3، مطبعة المكتب الاسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م.
- ✓ الكشَّافُ عن حَقائقِ التَّنزيلِ وَعُيونِ الأَقاويلِ في وجوهِ التأويل، أَبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخورزمي جار الله (ت538هـ)، ط3، دَارُ الكِتَابِ العَرَبِيّ، بَيرُوتُ، 1407ه-1987م.
- ✓ لِقَاءاتُ البَابِ المَفْتُوحِ، مُحَمَّدُ بنُ صَالِحٍ، دَارُ البَصِيرَةِ ، الأَسْكَنْدَرِيَّةُ. (د.ط)، (د.ت).
- ✓ المُجْتَبَى مِنْ مُشْكِلِ إِعْرَابِ القُرْآنِ، أ. د. أَحْمَد بنُ مُحَمَّدٍ الخَرَّاطُ، مُجَمَّعُ المَلِكِ فَهَدٍ لِطِبَاعَةِ المُصْحَفِ الشَّرِيفِ، المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، 1426 هـ- 2005م.
- ✓ المُحَرَّرُ الوَجيزُ فِي تَفْسِيرِ الكتابِ العزيز، أَبو مُحَمَّد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت514هـ)، ط1، دَارُ ابْنِ حَزْمٍ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، بَيرُوتُ، 1423هـ- 2002م.
- ✓ مَعَانِي القُرآنِ وَإِعرابُهُ، إبراهيم بن السري بن سهل أَبو اسحاق الزجاج (ت311هـ)، ط1، عَالَمُ الكُتُبِ، لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، بَيرُوتُ، 1408هـ-1988م.
- ✓ مَعَانِي النَّحْوِ، د. فَاضِل صَالِح السَّامُرَّائِي، دَارُ الفِكْرِ لِلطِّبَاعَةِ، الأُرْدُن، ط1، 2000م .
- ✓ مُعْجَمُ القِراءَاتِ القُرآنِيَّةِ مَعَ مُقَدِّمَةٍ فِي القِرَاءَاتِ وَأَشْهَرِ القُرَّاء، د. أَحمَد مُخْتَار عُمَر، جَامِعَةُ الكُوِيْت، الطَّبْعَةُ الأُوْلَى، 1982م .
- ✓ معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1380 هـ-1960م .
- ✓ مَقَاييسُ اللُّغَةِ، أَبو الحسين أَحمَدُ بنُ فارِسِ بنِ زَكَرِيَّا (ت 395هـ)، ط1، دَارُ إِحيَاءِ التُّرَاثِ العَرَبِي، بَيرُوتُ،1422هـ-2001م .
- ✓ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (ت:606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي المكتبة العلمية، بيروت، 1979م .